Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علم البـديع مـا بـه قـد عُرفـا ... وجـوه تحسين الكلام إنْ وفى
مطابقـاً وقـصـده جَلىّ ... فـمنه لفظى ومعنوى[١٩]

ثم عقب عليه بالشرح. وفى نظمه لأول فن بديعى أورده، وهو (الطباق)، قال:

منه الطباق بالتـضاد مـاثل ... الجـمع بين اثنين ذى تقـابل
فى جـملة من نوع او نوعـين ... اسمـين أو فـعلين او حـرفـين
كـمثل «ايقـاظاً وهم رقـود» ... يحـيى يمـيت وله تعـديد
طبـاق منفى طبـاق مـوجب ... كـاخش ولا تخش وذى تسـبب
قلت وقـيل الشطر فى الطبـاق ... ان يأتى اللفظان بالوفـاق
وإنمـا يحـسن مـع مـزيد ... ولهـم تطابق التـرديد
ومـنـه تـدبيـج بـالـوان تـرد ... مكنيـاً او تورية لما قـصد[٢٠]

ثم عقب بشرح طويل. وعلى هذا المنوال سـار السيـوطى فى نظمـه وشرحـه لفنون البـديع والبلاغة عامة.

ومن بعد كتاب (الإيضاح) الذى وضعه الخطيب القزوينى شرحاً للتلخيص اخذت الشروح تتوالى وتتزايد، ثم شروح لهذه الشروح، وفى هذا يقول حاجى خليفة ـ مشيراً إلى تلخيص القزوينى-: «ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقى والقبول، اقبل عليه معشر الافاضل والفحول، وأكب على درسه وحفظه أو لو المعقول والمنقول، فصار كاصله مـحط رحـال تحريرات الرجـال، ومـهبط أنوار الافكار، ومـزدحم آراء البـال، فكتبـوا له شروحاً»[٢١] ثم اخذ فى رصد الكتب التى دارت حول التلخيص، ما بين شرح واختصار، ونظم وحواش، وحواش على الحواشى، وقد بلغت ما يربو على الستين كتاباً[٢٢]. امـا عن قيمة هذه الشروح والحواشى، فمعلوم أنها لم تفد البلاغة والبديع شيئاً، وأنها كانت مجرد إطالة، ولكنها «إطالة فى غير طائل» على حد تعبير الدكتور شوقى ضيف[٢٣]. وقـد تجلت فيها ظاهرة (التكرار).

وتزداد هذه الظاهرة ظاهرة التكرار ـ استفحالاً فى كتب غير شروح التلخيص، وهى كتب بعضها افرد للبلاغة عامة بما فيها البديع، وبعضها عرضت ـ ضمن ما عرضت ـ للبلاغة وقد وصل التكرار فى هذه الكتب ـ وهى كثيرة ـ إلى درجة بدت فيها هذه الكتب «وكأنها كتاب واحد، فمن وقف على إحداها غنى بما عداه»[٢٤].

وهذا يكشف ويؤكد العقم والجمود الذى أصاب الفكر البلاغى عند العرب منذ القرن الثامن الهجرى، والذى يبدو انه لم يصب الفكر البلاغى فقط، بل تعداه إلى غيره؛ إذ إن ظاهرة التكرار شملت تراثنا العربى عامة، يقول الدكتور تمام حسان:« ظاهرة اخرى كانت مـشـئومة فى تراثنا العربى، هى ظاهرة التقليد والنقل عن السـابقين. ولقد شـاعت هذه